في مجابهة هذا الاستنزاف المادي والمعنوي تتابع قوى المقاومة في الشعب المقهور عملية التحشد ، وتقوم بدورها باستنزاف قوى الغـــزاة الخارجيين والمساومين المحليين ايضا · وتضع في مقدمة اهتماماتها الاستراتيجية : تصعيد روح العداء ، والحفاظ على ارادة الصراع ، وتعديل ميزان القوى لصالحهـــا عن طريق تدمير قوى العدو وحشد قوى صديقة اضافية ·

وتتسم هذه المرحلة بأن صراع الارادات يأخذ فيها شكلا شاملا وعلى جميـع المستويات · ويكون عمل الطرفين فيها معقدا الى أبعد مدى · ويأخذ العمـــل السياسي خلالها دورا متزايدا تفوق أهميته في بعض الحالات اهمية العمـــل العسكري · واذا كانت جهود الغزاة في هذه المرحلة تستهدف التهدئة وتثبيت الوضع الراهن واعطاءه شكلا من أشكال الشرعية ، فان جهود قوى المقاومـــة تتركز على التصعيد ، ومنع التهدئة ، وتغيير الوضع الراهن · وتتحول جهـود الطرفين الى سباق عنيف على خطين مزدوجين ، يتعلق احدهما بموازين القوى، في حين يتعلق الآخر بحالة العداء · على اعتبار ان ميزان القوى يمثل التجسيد العملي للعنصر المادي في الصراع ، وان حالة العداء هي المحرك المعنوي للقوة الماديـــة ·

ولقد اثبتت خبرات الغزوات الاستعمارية وحروب التحرير عبر التاريخ ، ان الشعوب الحية التي تعرضت للغزو توصلت في نهاية هذا السباق الى تعبئـــة قواها الكامنة ، وتحقيق الحشد اللازم لتعديل ميزان القوى لصالحهـــا · وان الحفاظ على حالة العداء وتأجيجها ، ورفض المساومة او مصالحة الغزاة ، كانا في مقدمة الاسباب التي ساعدت على تصفية الخط المساوم ، وتعبئـة قـــوى المقاومة الكامنة ، وتعديل ميزان القوى · كما أثبتت الخبرات نفسها ان نجـاح الغزاة في تخفيف حالة العداء وثني ارادة الصراع لدى المقهورين ، ووصـــول قوى المساومة الى مواقع حساسة في البلد المعرض للغزو ، وانجراف هـــذه القوى نحو السلام المزيف ، قد عطلا عملية التعبئة وتعديل موازيـــن القوى ، واديا بالتالي الى اطالة عمر الغزوة ، وزيادة التضحيات التي يتحملها الشعب المقهور للوصول الى ميزان القوى المناسب ·

وتتم عملية تعديل موازين القوى عادة ببطء · وتكون سرعتها متناسبة مـــع ديناميكية الشعب المقهور ، وقدرة طلائعه على التنظيم وتأجيج روح العـــداء وتصفية الخط المساوم · ولكنها تتوصل في النهاية (ليس بـــدون صعوبـات وتضحيات) الى احتواء الغزوة وتأمين التوازن الاستراتيجي الذي تجري فـي ظله ضربة الايقاف · وعندما تنجح هذه الضربة تتجمد حركة الغزاة التوسعيـة ويتحولون الى الدفاع · وتفقد الغزوة الاستعمارية ديناميكيتها الاولى ، وتنقلب من قبضة ضاربة الى قلعة محاصرة · ومع استمرار الحشد والتعبئة في معسكر